
عَنْزَةُ السَّيِّدِ سوغان
أجمل حكاياتي
CHIHAB Kids

أجمل حكاياتي

عَنْزَةُ السَّيِّدِ سُوغَانْ

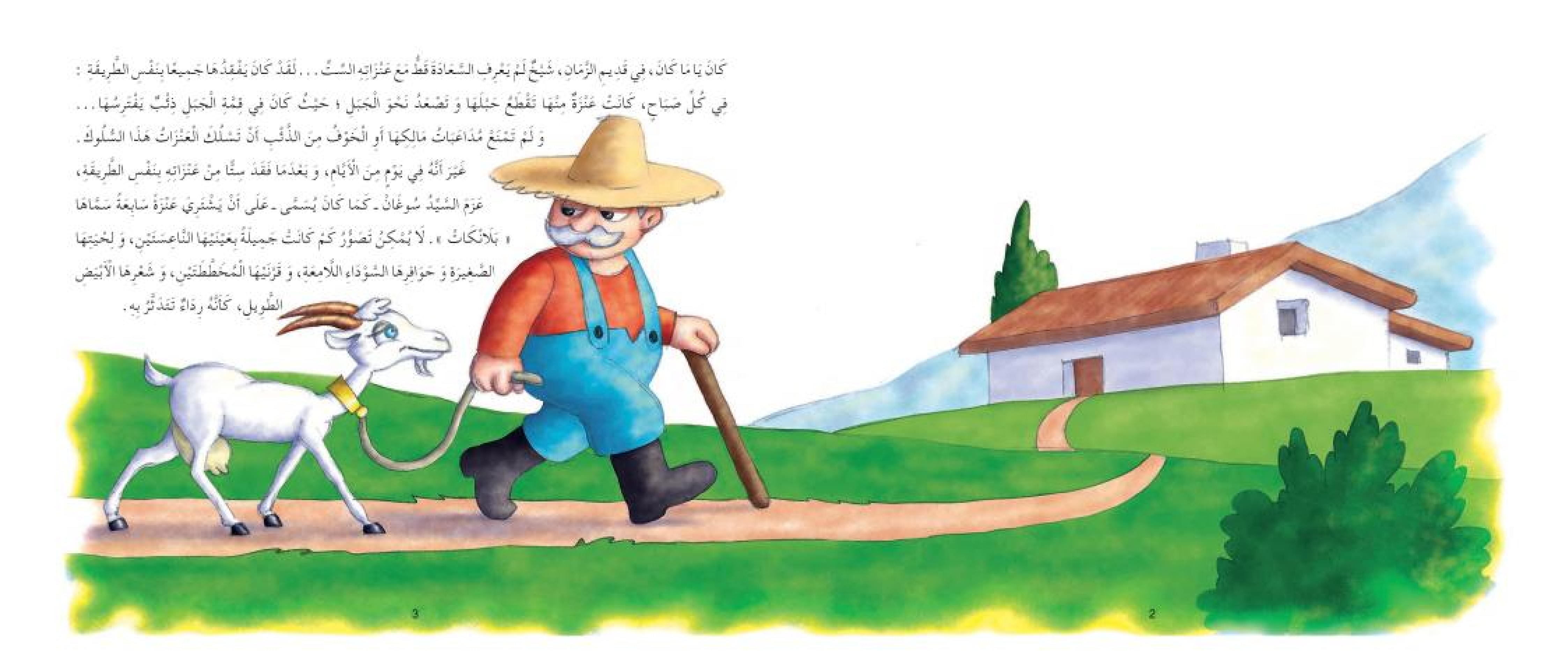


مقتبسة من حكايات ألفونس دودي
رسوم : منصور عموري



كَانَ يَا مَا كَانَ، فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، شَيْخٌ لَمْ يَعْرِفِ السَّعَادَةَ قَطُّ مَعَ عَنْزَاتِهِ السِّتِّ . . . لَقَدْ كَانَ يَفْقِدُهَا جَمِيعًا بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ :
فِي كُلِّ صَبَاحٍ، كَانَتْ عَنْزَةٌ مِنْهَا تَقْطَعُ حَبْلَهَا وَ تَصْعَدُ نَحْوَ الْجَبَلِ ؛ حَيْثُ كَانَ فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ ذِئْبٌ يَفْتَرِسُهَا . . .
وَ لَمْ تَمْنَعْ مُدَاعَبَاتُ مَالِكِهَا أَوِ الْخَوْفُ مِنَ الذِّئْبِ أَنْ تَسْلُكَ الْعَنْزَاتُ هَذَا السُّلُوكَ .

غَيْرَ أَنَّهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، وَ بَعْدَمَا فَقَدَ سِتًّا مِنْ عَنْزَاتِهِ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، عَزَمَ السَّيِّدُ سُوغَانُ ـ كَمَا كَانَ يُسَمَّى ـ عَلَى أَنْ يَشْتَرِيَ عَنْزَةً سَابِعَةً سَمَّاهَا « بَلاَنْكَاتُ » . لاَ يُمْكِنُ تَصَوُّرُ كَمْ كَانَتْ جَمِيلَةً بِعَيْنَيْهَا النَّاعِسَتَيْنِ، وَ لِحْيَتِهَا الصَّغِيرَةِ وَ حَوَافِرِهَا السَّوْدَاءِ اللاَّمِعَةِ، وَ قَرْنَيْهَا الْمُخَطَّطَتَيْنِ، وَ شَعْرِهَا الأَبْيَضِ الطَّوِيلِ، كَأَنَّهُ رِدَاءٌ تَتَدَثَّرُ بِهِ .



إِضَافَةً إِلَى أَنَّهَا مُطِيعَةٌ، كَانَتْ « بْلَانْكَاتْ »تُحِبُّ الْمُدَاعَبَةَ وَ تَسْمَحُ بِحَلْبِهَا دُونَ أَنْ تَتَحَرَّكَ، وَ دُونَ أَنْ تَضَعَ سَاقَهَا فِي الْإِنَاءِ... كَانَ السَّيِّدُ سُوغَانْ سَعِيدًا ؛ لِأَنَّ عَنْزَتَهُ الشَّابَّةَ لَمْ تَكُنْ تَشْعُرُ بِالْمَلَلِ، حَتَّى جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي قَالَتْ فِيهِ لِنَفْسِهَا، وَ هِيَ تَتَطَلَّعُ إِلَى الْجَبَلِ : « كَمْ سَأَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ، لَوْ أَنَّنِي هُنَاكَ فِي الْأَعْلَى !! أَيُّ مُتْعَةٍ، كُنْتُ سَأَلْقَاهَا فِي التَّسَكُّعِ بَيْنَ الضَّبَابِ، لَوْ لَا هَذَا الْحَبْلُ اللَّعِينُ الَّذِي يَضْغَطُ عَلَى رَقَبَتِي ! إِنَّهُ يَصْلُحُ لِحِمَارٍ أَوْ ثَوْرٍ يَرْعَى فِي حَظِيرَةٍ ! أَمَّا الْمَاعِزُ فَيَلْزَمُهَا الْفَضَاءُ الْفَسِيحُ ». وَ مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، صَارَ عُشْبُ الْحَظِيرَةِ بِلَا طَعْمٍ... لَقَدْ سَكَنَ الْمَلَلُ الْحَظِيرَةَ... هَزَلَتِ الْعَنْزَةُ وَ غَرَزَ ضَرْعُهَا، وَ كَانَ مَنْظَرُهَا يُثِيرُ الشَّفَقَةَ، وَ هِيَ تَشُدُّ حَبْلَهَا طِوَالَ الْيَوْمِ، وَ رَأْسُهَا مُتَّجِهَةٌ نَحْوَ الْجَبَلِ صَائِحَةً بِحُزْنٍ : « مَعْعْعْعْعْ ! ».



ذَاتَ صَبَاحٍ، عِنْدَمَا اِنْتَهَى السَّيِّدُ سُوغَانْ مِنْ حَلْبِهَا، اِسْتَدَارَتِ الْعَنْزَةُ وَ قَالَتْ لَهُ : « إِنَّنِي لاَ أُطِيقُ الْبَقَاءَ فِي الْحَظِيرَةِ، أُتْرُكْنِي أَذْهَبُ إِلَى الْجَبَلِ ».

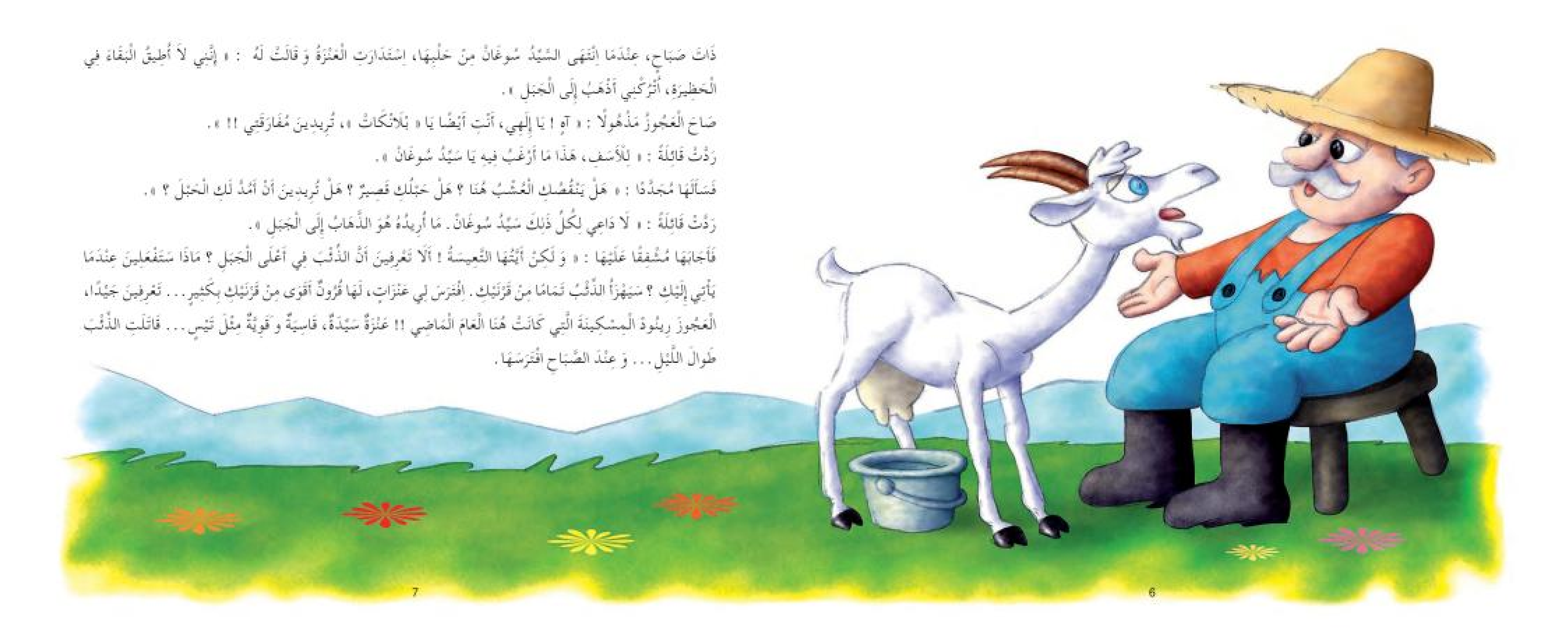
صَاحَ الْعَجُوزُ مَذْهُولاً : « آهٍ ! يَا إِلَهِي، أَنْتِ أَيْضًا يَا « بْلاَنْكَاتْ »، تُرِيدِينَ مُفَارَقَتِي !! ».

رَدَّتْ قَائِلَةً : « لِلأَسَفِ، هَذَا مَا أَرْغَبُ فِيهِ يَا سَيِّدُ سُوغَانْ ».

فَسَأَلَهَا مُجَدَّدًا : « هَلْ يَنْقُصُكِ الْعُشْبُ هُنَا ؟ هَلْ حَبْلُكِ قَصِيرٌ ؟ هَلْ تُرِيدِينَ أَنْ أَمُدَّ لَكِ الْحَبْلَ ؟ ».

رَدَّتْ قَائِلَةً : « لاَ دَاعِيَ لِكُلِّ ذَلِكَ سَيِّدُ سُوغَانْ. مَا أُرِيدُهُ هُوَ الذَّهَابُ إِلَى الْجَبَلِ ».

فَأَجَابَهَا مُشْفِقًا عَلَيْهَا : « وَ لَكِنْ أَيَّتُهَا التَّعِيسَةُ ! أَلاَ تَعْرِفِينَ أَنَّ الذِّئْبَ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ ؟ مَاذَا سَتَفْعَلِينَ عِنْدَمَا يَأْتِي إِلَيْكِ ؟ سَيَهْزَأُ الذِّئْبُ تَمَامًا مِنْ قَرْنَيْكِ. اِفْتَرَسَ لِي عَنْزَاتٍ، لَهَا قُرُونٌ أَقْوَى مِنْ قَرْنَيْكِ بِكَثِيرٍ... تَعْرِفِينَ جَيِّدًا، الْعَجُوزَ رِينُودَ الْمِسْكِينَةَ الَّتِي كَانَتْ هُنَا الْعَامَ الْمَاضِي !! عَنْزَةٌ سَيِّدَةٌ، قَاسِيَةٌ وَ قَوِيَّةٌ مِثْلَ تَيْسٍ... قَاتَلَتِ الذِّئْبَ طَوَالَ اللَّيْلِ... وَ عِنْدَ الصَّبَاحِ اِفْتَرَسَهَا.



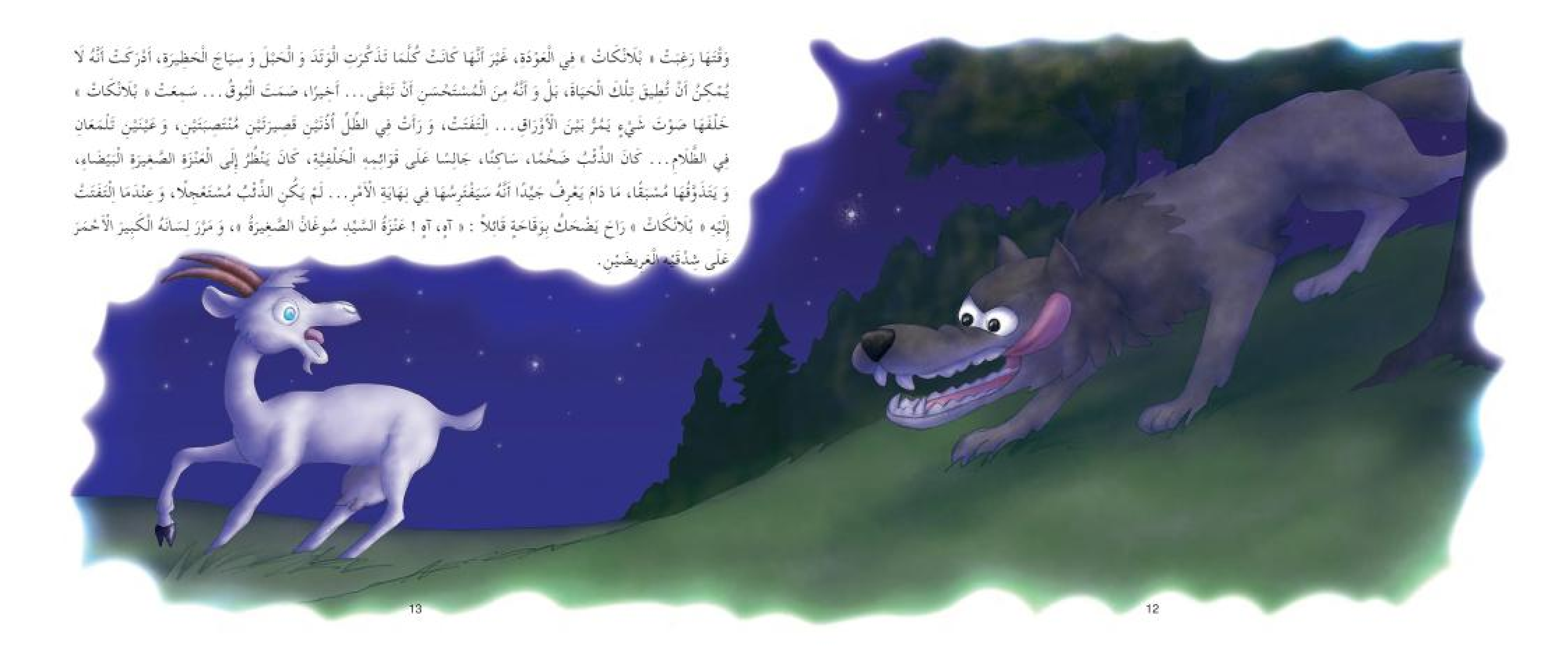
بَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ الْحَدِيثِ، قَالَتْ « بْلَانْكَاتْ » : « مِسْكِينَةٌ رِينُودْ، لَا يَهُمُّ يَا سَيِّدُ سُوغَانْ، أُتْرُكْنِي أَذْهَبُ إِلَى الْجَبَلِ ». غَيْرَ أَنَّ الْعَجُوزَ خَافَ عَلَى عَنْزَتِهِ، فَأَغْلَقَ عَلَيْهَا الْبَابَ جَيِّدًا فِي إِسْطَبْلٍ مُظْلِمٍ، وَ لَكِنَّهُ لِلْأَسَفِ، نَسِيَ النَّافِذَةَ، وَ لَمْ يَكَدْ يَسْتَدِيرُ حَتَّى هَرَبَتْ « بْلَانْكَاتْ »... عِنْدَمَا وَصَلَتِ الْعَنْزَةُ الْبَيْضَاءُ إِلَى الْجَبَلِ، كَانَتْ بَهْجَتُهَا وَ سَعَادَتُهَا شَامِلَتَيْنِ... لَمْ تَرَ أَجْمَلَ مِنْ أَشْجَارِ الصَّنَوْبَرِ الْعَتِيقَةِ طِوَالَ عُمْرِهَا... اِسْتَقْبَلَتْهَا الْغَابَةُ كَمَلِكَةٍ ؛ اِنْحَنَتْ أَشْجَارُ الْبَلُّوطِ لِتُدَاعِبَهَا بِأَطْرَافِ أَغْصَانِهَا، وَ أَقَامَ كُلُّ الْجَبَلِ لَهَا حَفْلًا، وَ « بْلَانْكَاتْ » تَتَمَرَّغُ فِي الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ، وَ سِيقَانُهَا إِلَى الْفَضَاءِ، عَلَى طُولِ الْمُنْحَدَرِ، عَلَى مَزِيجٍ مِنَ الْأَوْرَاقِ الْمَيِّتَةِ وَ حَبَّاتِ الْكَسْتَنَاءِ. وَعِنْدَمَا رَأَتْ نَفْسَهَا تُقِيمُ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ، اِعْتَقَدَتْ أَنَّهَا، عَلَى الْأَقَلِّ كَبِيرَةٌ مِثْلَ الْعَالَمِ...



بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، بَرَدَتِ الرِّيحُ وَ صَارَ لَوْنُ الْجَبَلِ بَنَفْسَجِيًّا، ثُمَّ حَلَّ الْمَسَاءُ. قَالَتِ الْعَنْزَةُ الصَّغِيرَةُ مُنْدَهِشَةً : « أَبِهَذِهِ السُّرْعَةِ ؟! ». فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، بِالْوَادِي، كَانَتِ الْحُقُولُ تَسْبَحُ فِي السَّدِيمِ. وَ غَابَتْ حَظِيرَةُ السَّيِّدِ سُوغَانْ فِي الضَّبَابِ، وَ لَمْ يَعُدْ يَظْهَرُ مِنَ الْبَيْتِ غَيْرُ السَّقْفِ وَ خَيْطِ دُخَانٍ. كَمَا سَمِعَتْ « بْلَانْكَاتْ » أَجْرَاسَ قَطِيعٍ يَعُودُ مِنَ الْمَرْعَى، وَ شَعَرَتْ بِالْكَآبَةِ. وَ فَجْأَةً، تَعَالَتْ صَرْخَةٌ فِي الْجَبَلِ : « عُووووووو ! عُووووو ! ». أَخِيرًا، تَذَكَّرَتِ الذِّئْبَ. طَوَالَ النَّهَارِ لَمْ تَتَذَكَّرِ الْمَجْنُونَةُ أَمْرَهُ... فِي هَذَا الْوَقْتِ جَاءَ مِنْ بَعِيدٍ صَوْتُ بُوقٍ تَعَالَى مِنَ الْوَادِي، فَقَدْ كَانَ السَّيِّدُ سُوغَانْ الطَّيِّبُ يُحَاوِلُ، لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ، اسْتِعَادَتَهَا ؛ إِذْ كَانَ الْبُوقُ يَصِيحُ : « عُودِي ! عُودِي !... » بَيْنَمَا عُوَاءُ الذِّئْبِ يَتَرَدَّدُ : « عُووووووو ! عُووووو ! ».



وَقْتَهَا رَغِبَتْ « بْلَانْكَاتْ » فِي الْعَوْدَةِ، غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ كُلَّمَا تَذَكَّرَتِ الْوَتَدَ وَ الْحَبْلَ وَ سِيَاجَ الْحَظِيرَةِ، أَدْرَكَتْ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُطِيقَ تِلْكَ الْحَيَاةَ، بَلْ وَ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحْسَنِ أَنْ تَبْقَى... أَخِيرًا، صَمَتَ الْبُوقُ... سَمِعَتْ « بْلَانْكَاتْ » خَلْفَهَا صَوْتَ شَيْءٍ يَمُرُّ بَيْنَ الْأَوْرَاقِ... اِلْتَفَتَتْ، وَ رَأَتْ فِي الظِّلِّ أُذُنَيْنِ قَصِيرَتَيْنِ مُنْتَصِبَتَيْنِ، وَ عَيْنَيْنِ تَلْمَعَانِ فِي الظَّلَامِ... كَانَ الذِّئْبُ ضَخْمًا، سَاكِنًا، جَالِسًا عَلَى قَوَائِمِهِ الْخَلْفِيَّةِ، كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَنْزَةِ الصَّغِيرَةِ الْبَيْضَاءِ، وَ يَتَذَوَّقُهَا مُسْبَقًا، مَا دَامَ يَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّهُ سَيَفْتَرِسُهَا فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ... لَمْ يَكُنِ الذِّئْبُ مُسْتَعْجِلًا، وَ عِنْدَمَا الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ « بْلَانْكَاتْ » رَاحَ يَضْحَكُ بِوَقَاحَةٍ قَائِلًا : « آهٍ، آهٍ ! عَنْزَةُ السَّيِّدِ سُوغَانْ الصَّغِيرَةُ »، وَ مَرَّرَ لِسَانَهُ الْكَبِيرَ الْأَحْمَرَ عَلَى شِدْقَيْهِ الْعَرِيضَيْنِ.





أَحَسَّتْ « بْلانْكَاتْ » بِالضَّيَاعِ. . . ثُمَّ فَكَّرَتْ فِيمَا فَعَلَتْهُ الْعَنْزَةُ الْعَجُوزُ « رِينُودْ » الَّتِي قَاتَلَتِ الذِّئْبَ طَوَالَ اللَّيْلِ حَتَّى اِفْتَرَسَهَا فِي الصَّبَاحِ، وَ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « رُبَّمَا يُسْتَحْسَنُ أَنْ أَسْتَسْلِمَ لِلذِّئْبِ مِنَ الْآنَ »، غَيْرَ أَنَّهَا عَدَلَتْ عَنْ رَأْيِهَا، وَ نَزَلَتْ مُسْتَعِدَّةً لِلْقِتَالِ : الرَّأْسُ مُنْخَفِضٌ وَ الْقَرْنُ إِلَى الْأَمَامِ، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ حَالُ عَنْزَةٍ شُجَاعَةٍ لِلسَّيِّدِ سُوغَانْ. لَمْ تَكُنْ « بْلانْكَاتْ » تَأْمَلُ فِي قَتْلِ الذِّئْبِ - ذَلِكَ أَنَّ الْعَنزَاتِ لَا تَقْتُلُ الذِّئَابَ، وَ لَكِنَّهَا كَانَتْ - فَقَطْ - تَوَدُّ أَنْ تَرَى مَا إِذَا كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهَا الدِّفَاعُ عَنْ نَفْسِهَا أَطْوَلَ مُدَّةٍ مُمْكِنَةٍ كَمَا فَعَلَتْ « رِينُودْ » أَمْ لَا. . . وَ هَكَذَا، كَانَ الذِّئْبُ الْمُفْتَرِسُ يَتَقَدَّمُ، وَ الْقُرُونُ الصَّغِيرَةُ أَعَدَّتْ نَفْسَهَا، آهٍ ! لِلْعُنَيْزَةِ الْبَاسِلَةِ. . . كَمْ كَانَتْ تُحَارِبُ بِإِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ ! أَجْبَرَتِ الذِّئْبَ عَلَى التَّرَاجُعِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ مَرَّاتٍ، لِيَسْتَرْجِعَ أَنْفَاسَهُ. وَ خِلَالَ تِلْكَ الْفُسْحَاتِ الْقَصِيرَةِ، كَانَتِ الْعَنْزَةُ تَقْطِفُ رُؤُوسَ الْعُشْبِ الْغَضَّةَ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى الْقِتَالِ وَ فَمُهَا مَمْلُوءٌ. . . دَامَتِ الْمَعْرَكَةُ طَوَالَ اللَّيْلِ. . .

وَ بَيْنَ الْحِينِ وَ الآخَرِ كَانَتْ « بْلاَنْكَاتْ » تَتَطَلَّعُ إِلَى النُّجُومِ، وَ هِيَ تَتَرَاقَصُ فِي السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ، وَ تَقُولُ لِنَفْسِهَا : « آهٍ ! لَوْ أَسْتَطِيعُ الْمُقَاوَمَةَ حَتَّى الْفَجْرِ ! » وَ لَكِنَّ النُّجُومَ تَوَارَتْ، الْوَاحِدَةَ تِلْوَ الأُخْرَى... ضَاعَفَتْ « بْلاَنْكَاتْ » مِنْ ضَرَبَاتِ قَرْنَيْهَا، وَ زَادَ الذِّئْبُ مِنْ ضَرَبَاتِ أَسْنَانِهِ... بَزَغَ نُورٌ شَاحِبٌ فِي الأُفُقِ... صَعِدَ صِيَاحُ دِيكٍ أَبَحَّ مِنْ حَظِيرَةٍ مُجَاوِرَةٍ... قَالَتِ الْعَنْزَةُ الْمِسْكِينَةُ الَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِرُ فَقَطْ بُزُوغَ الْفَجْرِ لِتَمُوتَ : « أَخِيرًا ! »، وَ تَمَدَّدَتْ عَلَى الأَرْضِ، فِي وَبَرِهَا الأَبْيَضِ الْمُلَطَّخِ بِالدِّمَاءِ... وَ انْقَضَّ الذِّئْبُ - مِنْ فَوْرِهِ - عَلَى الْعَنْزَةِ الصَّغِيرَةِ، وَ أَكَلَهَا.

